

مساهمة في دراسة العنف عند الحدث من خلال المقاربة النسقية (دراسة حالة)

صالح عزيزون

جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2

الملخص:

تعرف ظاهرة العنف انتشارا كبيرا في الوسط الجزائري خاصة عند فئة المراهقين. التغيرات الاجتماعية التي يعرفها المجتمع اليوم انعكست بدورها على الأسرة من حيث العلاقة بين أفرادها وديناميتها والتغيرات في دورها. من وجهة نظر المقاربة النسقية المشكلة تكمن داخل الأسرة، فالانفصال المرضي للنسق الأسري قد يترتب عليه نتائج خطيرة على سلوك الأبناء كالعنف.

الكلمات المفتاحية: المقاربة النسقية، العنف، الحدث.

مقدمة

تعد الأسرة هي أساس وجود المجتمع وهي مصدر الأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك حسب أوجست كونت: «أنها الخلية الأولى في جسم المجتمع وإنها النقطة الأولى التي بدأ منها التطور وأنها الوسط الطبيعي والاجتماعي الذي يترعرع فيه الطفل» (زيدان، 1983، ص. 41). فهي المؤسسة الاجتماعية الأولى التي يقع على عاتقها هذا الدور فهي تساهم في إعداد وتكوين شخصية الفرد منذ طفولته حيث يتلقى فيها خبراته وتدريبه وتأهيله وإشباع حاجاته المادية

Résumé

Le phénomène de la violence a pris une ampleur considérable dans la société algérienne, notamment chez les jeunes adolescents.

Les mutations que connaît la société aujourd'hui ont eu un impact important sur le rôle de la famille ainsi que sur les relations entre ses membres.

Du point de vue de l'approche systémique, le problème réside au sein de la famille ; une communication pathologique dans le système familial peut entraîner de graves conséquences sur le comportement des enfants, telle que la violence.

Mot clés: L'approche systémique, Le milieu familial, La violence, Comportement des adolescents.

Abstract

The phenomenon of violence is considerably spreading in the Algerian society mainly among adolescents. Changes that occur in society have affected the family role as well as its member's relations.

From the systemic approach point of view, the problem exists in the family itself; that is to say a pathological communication within the family system can lead to serious consequences on children behavior such as violence.

Keywords: Systemic approach, Violence, Juvenile stag

والمعنوية بطريقة تساير القيم والمعايير. إن حاجات الطفل الأولى هي توفير الأمن والاستقرار، وإذا كان مشبعاً بالحنان والعطف والرعاية المعنوية يؤهله هذا إلى مرحلة عمرية ثانية وهي «المراهقة» وتكون متوافقة مع حياة أسرية متوازنة ومستقرة وخالية من الصراعات أين تبرز شخصية الحدث متزنة وتسعى إلى تحقيق أهدافها في جو نفسي مستقر. أما في غياب الاستقرار الأسري يكون جو التفاعلات سلبياً ويظهر في سوء المعاملة كنمط قمعي في حياة الطفل أين يبرز هذا الطفل كضحية عنف جسدي أو نفسي أو إهمال، فالأساليب الوالدية المختلفة تنعكس سلباً أو إيجاباً وفقاً لنمط الأسلوب المتبع (حسن مصطفى، 2010، ص. 48).

إن حدوث أي خلل في البناء الأسري كالتفكك العائلي بالطلاق أو غياب أحد أقطاب النسق يترتب عليه مشكلات واضطرابات سلوكية «انحرافيه»، فيحاول الحدث هنا البحث عن نسق آخر بديل يحتضنه وعادة ما يكون في التوجه نحو الجنوح أين العنف والعدوانية تمثل لغة تواصل في خطابه وتواصله كما تمثل تغذية رجعية لرسائل استقبلها من النسق الأول وهو الأسرة، فهشاشة النظام الأسري له دفعا كبيرا في بروز شخصية عنيفة تكون وليدة تواصل مرضي داخل النسق.

من هذا المنطق فاختلال الوظيفة الأسرية وغياب التواصل الأسري مع أقطابها يساعد على ظهور سلوكيات غير سوية عند المراهق أو الحدث، انطلاقاً من هذا الطرح جاء التساؤل على هذا النحو:

هل التفاعلات الخاطئة داخل الأسرة تؤدي إلى العنف عند الحدث ؟

وبناء عليه نطرح الفرضيات التالية:

- العنف عند الحدث هو تغذية رجعية لنمط تواصل داخل الأسرة.
- أساليب المعاملة السيئة تساعد في تغذية السلوكيات العنيفة عند الحدث.

أهمية الدراسة :

يستمد البحث أهميته من ارتباطه بالأسرة باعتبارها كنسق، فالأسرة لها دور كبير في بناء شخصية الفرد وهي التي تحدد سلوكه نتيجة التفاعل الذي يحدث بينه وبين عناصر الأسرة الأخرى. المقاربة النسقية تدرس الأسرة المضطربة والتي بفضلها ظهر العلاج النسقي الذي ينص على أن علاج الفرد يكون من خلال علاج النسق ككل.

مصطلحات الدراسة :

المقاربة النسقية: منهجية وعلاج نفسي تسعى لدراسة الاتصالات وأشكال التفاعل داخل الأسرة حيث يمكن تحسين العلاقات. وهو تيار مفاده أن الكل يشكل وحدة خاضعة لقوانين تختلف عن القوانين التي تحكم كل جزء على حدى. والمقاربة النسقية تهتم بالفرد ضمن أسرته باعتبارها نسق وأن ادراك الفرد لنسق أسرته يحدد سلوكه من حيث السواء والاضطراب.

العنف: سلوك أو فعل يتسم بالعنوانية يصدر عن فرد أو جماعة ويحدث أضرارا مادية أو معنوية.

الحدث: في نظر القانون يبدأ من سن التمييز وينتهي ببلوغ سن الرشد للحدث، يمكن أن نقرن هذه المرحلة العمرية بمرحلة المراهقة.

حدود الدراسة :

أكاديميا :

تسجل هذه الدراسة كإحدى الدراسات في علم النفس الإكلينيكي. تركزت حول «الطفل والأسرة» يكون الطفل ضحية كمرحلة أولى قبل أن يبرز عنده اضطرابات سلوكية ومرضية في حياته مستقبلا. هذه السلوكيات المنحرفة تبرز كنمط اتصالي مرضي يساهم الأخصائيون في علم النفس، والطب العقلي، ورجال القانون، في التكفل به وكذا مكافحته وصد مضاعفته كل حسب تخصصه.

جغرافيا :

أجرينا البحث بمدينة قسنطينة، كما دعمنا الجانب الميداني من الدراسة بمستشفى الأمراض العقلية بواد العثمانية «مصلحة المتابعة النفسية الخارجية» مدة التطبيق دامت سنة كاملة من بداية شهر فيفري 2014 إلى شهر ديسمبر 2014.

عينة الدراسة :

تتمثل العينة في دراسة حالة: جنس ذكر يعاني من اضطراب في السلوك الاجتماعي (عنف وعدوانية، تناول المخدرات).

منهج الدراسة :

يعتبر المنهج الإكلينيكي هو الأنسب لموضوع الدراسة الحالية، وهو أحد أهم المناهج العلمية، اختيارنا هذا ناتج عن طبيعة الموضوع كوننا نريد من خلاله الغوص في معاينة المفحوص باعتباره الوسيلة الأكثر قدرة وفعالية في الكشف عن خبايا الحياة النفسية الفردية.

يمتاز بمراقبة السلوك من زاوية خاصة مع الكشف بموضوعية عن تصرفات ومواقف وأوضاع كائن إنساني معين اتجاه مشكلة تمّ البحث عن معنى هذا الموقف وأسبابه ومنشأه وإظهار الصراع الذي أدى إليه والإجراءات التي تهدف إلى حل هذا الصراع (عباس، 1996، ص. 54).

وسائل جمع البيانات :

1 - المقابلة :

تعتبر أداة بارزة من أدوات البحث العلمي، ظهرت كأسلوب في ميادين مثل ميدان الطب، الصحافة، إدارة الأعمال، الأنثروبولوجيا والخدمة الاجتماعية، مع بروزها كأداة بحث رئيسية في مجال التشخيص والعلاج النفسي.

يعرفها Microbert: « حوار بين شخصين، فهي علاقة ديناميّة وتبادل لفظي بين شخصين أو أكثر » (ملحم، 2000، ص. 43).

اعتمدنا في إجراء مقابلتنا على تقنية خط الحياة والتي نقدمها فيما يلي:

خط الحياة la ligne de vie :

يهدف إلى الكشف عن الأحداث المهمة في حياة الشخص، وحسب سن المفحوص نستعمل هذه الوسيلة وبطرق مختلفة.

التعليمة الخاصة بالمراهق (الحدث)

من أجل أن تساعدني على الفهم بطريقة جيدة وأن تشرح هذه الأمور التي كانت مهمة بالنسبة لك في تاريخ قصتك، سأطلب منك عمل يمثل في وضع خط حياتك الذي يمثل على ورقة يمكنك اختيار الألوان التي تعكس إجاباتك، ابدأ برسم خط في وسط الورقة يكون من اليمين وتاريخ اليوم على اليسار، الآن يمكن أن تسجل التواريخ المهمة في حياتك إلى أي مدى زمني يمكن أن ترجع به ذاكرتك إلى الوراء وسجل تاريخ هذا الحدث كذلك.

لكي يفهم الباحث مبدأ قصة الحدث ويفهم أهمية الخبرات وتمثيلها بالنسبة له يطرح مجموعة من الأسئلة ما الذي تتذكره من الحدث الخاص؟ أسرد لي أين كنت تعيش؟ ماذا يعني لك هذا الوقت؟ ما الذي تعلمته في هذه التجربة؟ (Lonescu et Blanchet, 2008, p. 244)

*اعتمدنا في تحليل المقابلات الأسرية على التحليل الإكلينيكي.

2 - المخطط العائلي Le génogramme :

هو أداة إكلينيكية لتحليل البناء الأسري، يسمح بإعطاء صورة بيانية مختصرة وسريعة، غالبا موزعة على ثلاثة أجيال وتوضح التابع أو الانقطاع في العلاقة داخل

الأسرة وأيضاً تكرار سلوكيات التبعية عبر الأجيال. أي يقدم رسم توضيحي لنسق العلاقات بين الأجيال المتعاقبة داخل الأسرة وطبيعة الارتباط بين الأفراد الذين يعيشون داخلها. يتكون من العديد من الأشكال والخطوط ولكل شكل معنى محدد، مثلاً: المستطيل خاص بالرجال والدوائر بالإناث... إلخ.

من خلال المقابلة الأولى نقوم بجمع أكبر عدد من المعلومات عن تاريخ النسق الأسري أحداث مهمة، اضطرابات، علاقات ووضعها في شكل مخطط أو خريطة.

3 - اختبار الإدراك الأسري Le test d'aperception de la famille:

يرمز إلى اختبار الإدراك الأسري بالرموز اللاتينية (FAT) التي تشير إلى (Family Aper-ception Test). صدر هذا الاختبار في صورته الأولى باللغة الإنجليزية سنة 1988 وترجم إلى اللغة الفرنسية من قبل «مركز علم النفس التطبيقي» سنة 1999، استمد الاختبار أسسه من مدرسة الأنساق والتي تعتبر سلوك الفرد داخل أسرته هو نتيجة لتفاعلات تحدث مع أفراد آخرين من الأسرة، والذين يملكون وظيفة هامة في تحديد سلوك الفرد الذي يعيش بين أحضان هذه الأسرة. (Wayne, Sotile et al, 1999, p.5).

يتكون الاختبار من 21 لوحة ملونة بالأسود والأبيض ودليل ورقة الترقيم (feuille de cotation)، حيث يوجد في كل لوحة رسوماً تصويرية تظهر وضعيات وعلاقات ونشاطات أسرية يومية تعكس بصورة عالية تداعيات إسقاطية على العمليات الأسرية، وكذلك ردود أفعال انفعالية في علاقتها مع التفاعلات الأسرية الخاصة.

الاختبارات الإسقاطية ليست بمقاييس سيكومترية، وإنما هي عبارة عن موقف مثير على شكل «جملة أو صورة» يتعرض له المفحوص فيستجيب استجابة يستطيع من خلالها الفاحص اكتشاف جوانب مختلفة من شخصيته، وتشير هذه الجوانب إلى أفكار المفحوص ودوافعه ومفاهيمه ووجدانه ودفاعاته ورغباته وإحباطاته وهكذا يصبح الموقف المثير في هذه الاختبارات الإسقاطية عبارة عن ستار يسقط عليه المفحوص حياته الداخلية، حيث أن هذه الاختبارات الإسقاطية لا تقيس المظاهر السطحية للشخصية بل إنها تتغلغل في شخصية المفحوص بشكل غير مباشر إلى التنظيم الأساسي للشخصية والديناميكيات المؤثرة في هذا السلوك الظاهري (عطوف، 1981، ص. 520).

مدلول كل بطاقة :

- اللوحة (1): العشاء Le diner تعكس اللوحة رجلا وامرأة وثلاث أطفال (ولدان وبنت) يجلسون حول طاولة أكل الكبار يتناقشون بينما أحد الأولاد يأكل.
- اللوحة (2): جهاز Stéreo تظهر اللوحة طفلا جالسا القرفصاء أمام مسجل يحمل في يديه قرص غناء أمامه مباشرة شخص من جنس أنثوي يمد به بشيء شكله مستطيل.
- اللوحة (3): العقاب Punition تظهر طفلا جالسا القرفصاء بجانب مزهرية مكسورة مأوفا وأزهارها منتثران فوق الأرضية في الواجهة شخص غامض يحمل شيئا وراء ظهره شكله أسطواني وملتفت الى الطفل.
- اللوحة (4): محل الملابس Le magasin de vêtements في حانوت للثياب تعرض امرأة فستانا على فتاة صغيرة مربعة الذراعين بينما تعبّر وجهها غير واضح.
- اللوحة (5): غرفة الضيافة Le salon يجلس الرجل وامرأة وولد أما تلفزيون تضع فتاة يدها فوق زر التلفاز، شخص يقف في آخر القاعة أمام الآخرين ويضع يده على مفتاح باب القاعة نصف المفتوح.
- اللوحة (6): الترتيب L'arrangement شخص من جنس أنثوي يقف على عتبة غرفة نوم أمام ولد جالس فوق سرير متوجه بظهره نحو الملاحظ، درج مفتوح في خزانة ثياب، كرة سلة فوق الأرض قميص وثياب مرميان فوق سرير مبعر.
- اللوحة (7): أعلى الدرج Le haut des escaliers طفل ينظر من غرفة نوم نحو سلم مضاءة سرير مبعر منبه يشير الى الساعة 11.30 فوق طاولة صغيرة.
- اللوحة (8): الرواق التجاري La galerie marchande أمام محل تجاري تمر امرأة وولد محتضن بعضهما في واجهة المتجر تعرض أحذية ولافتة تشير الى تخفيضات تحمل امرأة أشياء في حقيبة يسير ولد وبنت خلفها يتسمان ويومئان بحركات.
- اللوحة (9): المطبخ La cuisine رجل جالس الى طاولة مطبخ يحرك يده وينظر الى مذكرة يحملها في اليد الأخرى تقف المرأة أمام طبخة تدير ملعقة داخل قدر، في عتبة الباب طفل يحدق في هذا المشهد.

- اللوحة (10): ميدان اللعب Le terrain de jeu يقف ولدان بجانب بعضهما البعض يرتديان ثيابا رياضية يحمل كل منهما عصا كرة مضرب أحدهما يرتدي قفازات في خلفية الصورة تجري مقابلة في كرة المضرب.
- اللوحة (11): الخروج المتأخر sortie tardive يجلس لرجل وامرأة وفتاة قبالة فتى واقف يضع إحدى يديه فوق مفتاح الباب الخروج يشير إلى ساعة حائط عقاربها تشير إلى الساعة (9 ليلا).
- اللوحة (12): الواجبات Les devoirs تجلس شابة خلف مكتب في وتحمل في يديها قلم رصاص أمامها فوق المكتب كراس وكتاب مفتوحان وراءها يقف رجل وامرأة ينظران من فوق كتفها.
- اللوحة (13): ساعة النوم L'heure de coucher شخص غامض جالس في السرير الذي يجلس فيه كذلك رجل مقابل له إحدى يدي الرجل فوق فخذ الشخص الغامض والثانية فوق ركبته.
- اللوحة (14): لعبة الكرة Le jeu de balle يقف رجل وفتى في مواجهة بعضهم يرتديان قفازات كرة مضرب.
- اللوحة (15): اللعب Le jeu أحدهما يحمل كرة وفق مصطبة البيت ولد وفتاة ينظران في مشهد اللعب الباب الرئيسي للبيت مفتوح ولدان و بنت حول لعبة جماعية بجانبهم شجرة عيد الميلاد يقف بجانبهم شخص أنثوي ينظر إليهم في الخلفية شخص آخر متمدد فوق سرير يحمل كتاب مفتوحا.
- اللوحة (16): المفاتيح Les clefs يقف رجل وولد أمام السيارة يشير الولد إلى السيارة بيد ويمد الأخرى إلى هذا الرجل الذي يحمل مجموعة مفاتيح.
- اللوحة (17): مواد التجميل Le maquillage تظهر امرأة تتزين بأحمر الشفاه أمام مرآة الحمام تقف امرأة أخرى بالباب مقابلة لها.
- اللوحة (18): الرحلة L'excursion يجلس رجل وامرأة في المقعد الأمامي للسيارة ويجلس ولدان و بنت في الخلف يضحك أحد الأولاد مع البنت ويرفعان قبضتهما في وجه بعضهما البعض.

- اللوحة (19): المكتب Le bureau تقف الفتاة أمام رجل خلف مكتب أمامه أوراق ينظر إليها تضع هذه الفتاة أحد يديها فوق المكتب.
 - اللوحة (20): المرأة Le miroir يقف طفل أمام مرآة كبيرة ويدير ظهره للملاحظ تعكس المرأة صورة شخص غير واضح المعالم.
 - اللوحة (21): الاحتضان L'étreinte يقف رجل وامرأة يضمها بعضهما البعض إلى جانب قدمي الرجل محفظة يقف ولد وبنت في عتبة باب نصف مفتوح يحملان كتباً ينظران إلى الزوجين.
- * الإجراء الكامل للاختبار يتطلب تقريباً 30 إلى 35 دقيقة.

إن النسخة المختصرة لاختبار FAT يمكن أن تخضع إلى ترقيم استدلاي كما تسمح بإعداد فرضيات عيادية.

تعليمية الاختبار:

لدينا مجموعة من الصور التي تظهر عائلات سوف أعطيك إياها واحدة بواحدة، عليك أن تقول لي من فضلك ماذا يحدث في الصورة وما الشيء الذي قادهم إلى هذه الوضعية، ما الذي يفكر فيه ويشعر به الشخصيات التي تظهر على الصورة، وكذلك كيف تنتهي القصة، اسعمل تخيلاتك وتذكر أنه لا توجد إجابة جيدة ولا إجابة سيئة في كل ما تقوله حول هذه الصورة، سوف أسجل إجاباتك حتى أتمكن من تذكرها.

إذا كانت إحدى الإجابات تحتوي على رواية غير تامة للقصة، فإنه ينبغي أن نجري تقصي إضافي حتى يتمكن من الحصول على إجابات كاملة وقابلة للترقيم هذا التقصي يتمحور حول 5 أسئلة قاعدية وهي:

ماذا يحدث؟ ماذا حدث من قبل؟ بماذا يشعر «هو» / تشعر «هي»؟ عن ماذا يتكلم / تتكلم؟ كيف تنتهي هذه القصة؟.

على الباحث أثناء قيامه بنقل المعلومات بدقة «الإجابات» أن يشير إلى زمن إجراء البحث الخاص بكل لوحة. في نهاية الإجراء، ينبغي تحليل مجموع الكتابات (الإجابات) من وجهة نظر عياديه وإخضاعها إلى عملية ترقيم خاص باختبار FAT.

نتائج الدراسة :

عرض الحالة :

الحدث (زيد) 15 سنة يبدو بمظهر لا بأس به لباسه عادي متواجد بالمركز بسبب الاعتداء على الغير بالضرب، عاش داخل أسرة متفككة «الوالدين مطلقين». عاش قسوة من طرف الأب، وحرمان من طرف الأم، الطفل الأكبر على ثلاثة إخوة. الهروب من البيت وسنه 11، تناول المخدرات بداية بالاستنشاق للمواد الطيارة، البتر الذاتي على اليدين، الاعتداء وضرب الأقران بالشارع، تسرب مدرسي جد مبكر في السنه التاسعة.

تحليل مقابلات خط الحياة :

* تجميع وحدات المضمون في فئات تصنيفية وجدولتها مع حساب النسب المئوية لكل منها

الجدول الأول : سوء المعاملة النفسية

الفئة التصنيفية الأولى	أشكالها	التكرار	نسبة مئوية
سوء المعاملة النفسية	ترهيب وتهديد	10	24.39%
	الرفض والإهمال	06	14.63%
	اعتداء لفظي وإهانة	16	39.02%
	اعتداء انفعالي	03	7.31%
	العزل	06	14.63%
المجموع		41	100%

الجدول الثاني: سوء المعاملة الجسدية

الفئة التصنيفية الثانية	أشكالها	التكرار	النسبة المئوية
سوء المعاملة الجسدية	اعتداء جسدي بالضرب	12	75%
	ممارسات سادية	04	25%
المجموع		16	100%

الجدول الثالث: اضطراب العلاقة الأسرية

الفئة التصنيفية الثالثة	أشكالها	التكرار	النسبة المئوية
اضطراب العلاقات الأسرية	صراعات أسرية	20	41.66%
	اضطراب العلاقة الوالدين والحدث	12	25%
	اضطراب العلاقة إخوة - مفحوص	09	18.75%
	اضطراب السلوكيات الوالدية	07	14.58%
المجموع		48	100%

الجدول الرابع: آثار سوء المعاملة الأسرية

الفئة التصنيفية الرابعة	أشكالها	التكرار	النسبة المئوية
آثار سوء المعاملة الأسرية	آثار حسية	09	25.72%
	آثار نفسية	20	57.14%
	آثار سلوكية	06	17.14%
المجموع		35	100%

الجدول الخامس: مظاهر العنف

الفئة التصنيفية الخامسة	أشكالها	التكرار	النسبة المئوية
مظاهر العنف	الإدمان	17	58.62%
	العدوانية	12	41.38%
المجموع		29	100%

* تجميع مختلف الفئات التصنيفية التي ظهرت في خطاب الحدث المفحوص.

النسب المئوية	التكرار	الفئات التصنيفية
24.26%	41	سوء المعاملة النفسية
9.47%	16	سوء المعاملة الجسدية
28.40%	48	اضطراب العلاقات الأسرية
20.71%	35	آثار سوء المعاملة
17.16%	29	مظاهر العنف
100%	169	المجموع

يقدم لنا الجدول السادس الذي يضم جميع الفئات التصنيفية والتي جاءت بتكراراتها على خطاب الحالة مختلف النسب المئوية لهذه الفئات، حيث نجد أن نسبة مختلف خبرات الطفولة التي عاشتها الحالة في النسق الأسري من أساليب معاملة قاسية قدرت بـ 62.12٪ تمثل مجموع النسبة المئوية لسوء المعاملة النفسية والجسدية واضطراب العلاقة الأسرية) توزعت كالتالي: 28.40٪ تفاعل سلبي على مستوى العلاقة الأسرية من خلال صراعات مظاهر العنف الأسري والتفكك، بعدها جاءت سوء المعاملة النفسية بـ 24.26٪ والمثلة في الحرمانات العاطفية، العنف اللفظي، التهديد، وفي الأخير سوء معاملة جسدية بنسبة 9.46٪ مثله الضرب الجسدي، أما فيما يخص سوء المعاملة الأسرية كتجربة سلبية وسيئة في حياة الطفل فقدرت النسبة بـ 20.71٪ وتليها مظاهر العنف كتغذية رجعية لتواصل أسري مشبع بكل أشكال العدوانية قدر بـ 17.15٪.

تحليل الحالة بناء على الفئات التصنيفية :

يمكن تحديد المعاش النفسي عند (زيد) من خلال التفاعلات الأسرية السلبية التي عاش في أحضانها فالحالة يمكن أن يبرز كضحية للممارسة العقابية من طرف الأب والاهمال الحقيقي والعاطفي من طرف الأم مصدر الحنان إذن يمكن أن يتضح أن الحالة عاش وفق نمط أسري يفتقد للدفع العاطفي فسلوكات قطبي النسق الأب والأم كانت جد قاسية مشبعة برسائل نبذ ورفض وهذا ما مثله العنف الجسدي واللفظي كما أنه تبرز تشوه في العلاقة أم - طفل، وهذا ما يؤكد تشوه صورة الذات عند (زيد) نتيجة الاحتقار ومستوى تقدير الذات متدني نتيجة الهيكل الأسري الهش،

(زيد) يعيش حالة حصر وخوف من المحيطين به ومواجهة الواقع وفرض ذاته نتيجة الألم النفسي والجرح النرجسي كانت المخدرات بديل لا بد منه من خلال محاولة بناء علاقة مبحوث عنها وهروب من واقع كان يرفضه، بالإضافة محاولة تدمير الذات (بتر ذاتي) عدوانية موجهة نحو الغير، سرقات كسلوك تعويضي ... الخ

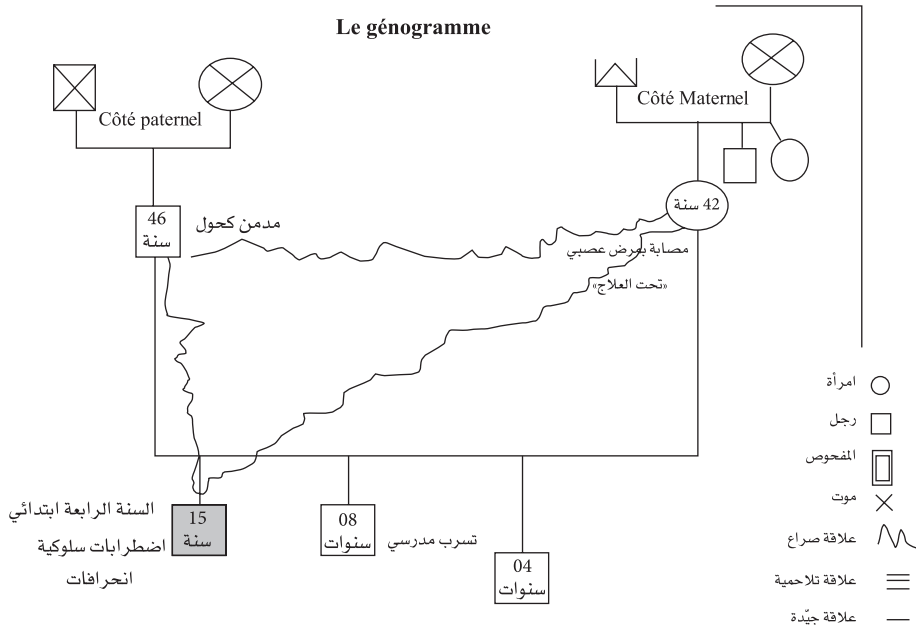
إنّ الفشل المدرسي والتسرب المبكر دليل ومبرر للهروب من أي نسق يتبع الأسرة والخوف من مواجهة أي سلطة، بالإضافة إلى الهروب من المنزل كمطلب آخر للبحث عن التغيير واستبدال النسق الأصلي بآخر يستعيد فيه الطمأنينة، الحالة (زيد) استخدم آلية دفاعية ممثلة في الهروب، الكبت، تقمصات للمعتدي، الذي يعتبر بمثابة استجابة لمثير ألا وهو الأسلوب القمعي للأب هذا التقمص كان نتيجة خوف والذي يعتبر عنصر أساسي فيه حسب Ferenczi، كما يمكن أن يبرز تقمص لشخصية المعتدي هو نموذج يستعمله الطفل للتكيف مع العنف فالطفل الضحية يكون مندفعاً بحاجة اضطرارية للسيطرة والإساءة والاعتداء على الآخرين للدفاع ضد مشاعر الرعب والضييق التي يعاني منها (زقار، 2002، ص. 29) كما يمكننا تأكيد إشكالية في التغذية الرجعية عند الحالة لا يستطيع استقبال ولا تحليل ما قد يستقبله، فلغة خطابه (... ما نعرف) فالرسالة هنا مفارقة تتضمن بنيتها تناقضاً حيث أنها توصل في نفس الوقت مضمونين متعارضين (Marc et Picard, 1984, p.62).

كما تعبر الحالة عن انخراطها في عالم الانحراف ضرورة تواصلية لأن كل سلوك يحمل رسالة داخلية تعبر بدورها عن علاقة الفرد بغيره (Michel, 1986, p.12).

يمثل الانحراف عند الحالة كنمط اتصالي يبرر به عن رفضه لكل ما عاشه في مراحل الطفولة والأحداث الصادمة التي عاشها، كما يبرز كمؤشر للرفض لأن شخصية الطفل لا تكتمل إلا في إطار العلاقات داخل الأسرة ذات الروابط التفاعلية خاصة بين الأم والأبناء لأن هذه العلاقة تضع أساس الروابط والعلاقات والاتجاهات نحو الآخرين، فإذا كانت تتسم بالدفء والاستمرار والأمان كانت مصدر للرضى والأمن والاطمئنان ولا تظهر صورتها الإيجابية أو المضطربة إلا من خلال ما تعكسه لنا مرآة المعاملة الوالدية

والأساليب المتبعة فيها والتي يكون الدور للأم أثر أكبر. (Fontaine, Portois, 1998, p51)

قراءة المخطط العائلي : Le Génogramme



قراءة المخطط العائلي (Le génogramme) :

يسمح لنا المخطط العائلي بتقديم معلومات إضافية خاصة بالحالة كما يمكن أن يوضح لنا النمط التفاعلي والتحالفات التي يصعب الحصول عليها غالباً أثناء المقابلة خاصة في إطار الحديث (شخصية الحدث) مع نمطهم التواصل المتصلب وغياب طلب المساعدة، يتكون النسق من أبوين. الأب 46 سنة والأم 42 سنة لديهم ثلاث أطفال أكبرهم (زيد) الذي يبلغ من العمر 15 سنة يليه أخ 12 سنة وآخر أصغر 8 سنوات، النسق الأسري يعاني التفكك نتيجة طلاق، حيث يبرز الأب كشخصية تعاني من اضطراب في السلوك، إدمان الكحول اندفاعية مفرطة، كما تؤكد الأم أن سلوك جدّ (زيد) يشبه سلوكات زوجها الذي يعتبر وحيد والديه، فالسلوكات المضطربة للأب أثرت على العلاقة الزوجية مما أصاب الزوجة باضطرابات نفسية منها الاكتئاب وأصبحت

تحت متابعة دورية لطبيب الأمراض العصبية، كما تؤكد من خلال قولها أن الحالة التي وصلت إليها بسبب سلوكات زوجها من خلال الاعتداء عليها وعلى أبنائها، أما بالنسبة لعائلتها تتكون من أبوين متوفيين وأخ وأخت لا يعانون من أي اضطراب في السلوك أو مرض عضوي، لها علاقة جيدة غير أن الحالة الصحية لها جعلتها في انسحاب مستمر من مواجهة أسرتها، فبالنسبة لـ (زيد) تقول أنه جاء بعد حمل كان مرغوب فيه ولكن بعد تغير الظروف وتوتر العلاقة الزوجية وعاش (زيد) بعض المشاهد العنيفة، وغياب دورها الأساسي في الرعاية بسبب المرض دفع بالحالة بالخروج للشارع ولولوج عالم الانحراف.

تحليل نتائج Le génogramme :

من خلال المخطط العائلي تبرز علاقات جامدة في غياب الحدود وصلابة وجدانية بين قطبي النسق والذي يتسم بالعنف والإهمال، تبرز حالة الموت من خلال الجينوغرام (Le génogramme) في عائلة الأب هذا الأخير الذي كان يدي تواصل جاف وسلبي تجاه أفراد أسرته مثلته القسوة والعنف، هذا الأخير الذي يمكن أن يكون تغذية رجعية لتواصل قبلي للأسرة المركبة، بمعنى أن هناك تقمص لشخصية المعتدي وهو جد الحالة، فتبرز أشكال العنف في الجيل الأول والثاني ممثلة في أساليب قمعية وسوء معاملة، دخول الأم في قوقعة المرض والعزلة وغياب الأدوار ساهم في زعزعة أركان النسق الحقيقية وأدى إلى تخلخل وظائف الأسرة (صراع الأدوار).

تحليل نتائج اختبار الإدراك الأسري (FAT) :

I - البروتوكول ليس طويل كفاية، الاستجابات قصيرة وغالبا غير مكتملة:

أ- علامة الرفض 18 قد تعبر عن رفض التواصل أو رفض التعبير عن الأحداث وتمثيل الشخصيات والأدوار.

ب- استجابات غير مألوفة 3 «طبع شخصية الحالة».

II- توقع الصراع وظهوره:

أ- غياب الصراع 7.

ب- المؤشر العام للاختلال 13.

III- أين يتموقع الصراع:

أ- داخل العائلة.

- صراع بين الزوجين 12 مؤشر قوي.

- صراع عائلي 10 دلال على وجود مشكلات أسرية أو صعوبات تواصلية مما يعود حتى على وجود إشكالية تواصل مع المحيط الخارجي.

ب - مع المحيط الخارجي (5).

- علامة لنمط آخر من الصراع 5.

IV- التوظيف النمطي العائلي:

أ- حل الصراع بشكل إيجابي 2 مقابل 7 علامات للسلبى و 12 نقطة لانعدام الحل مما يمكن أن يعطي دلالة عن غياب الحلول في مواجهة «الصراع conflict» أو إيجاد حلول سلبية ونادرا ما تحل بشكل موجب.

ب- كيفية حل الصراع:

- تدخل الآباء بشكل مناسب يظهر بشكل واضح في تحديد الحدود، غير المناسبة 11 والملائمة مع انخراط 4.

- ردود الأفعال تجاه الحدود الموضوعية من قبل الآباء مقبولة مع انخراط 4 ومرفوضة 18 عدم ملائمة الحلول المقترحة 11 ورفضها 18 من قبل إشكاليات تواصل هامة داخل العائلة تعاني انسداد في نمط ديناميكي مختل 13.

الفرضيات الممكنة حول نمط العلاقات الظاهرة داخل هذه العائلة

- الأم حليفة 3.
- الإخوة 3.
- حلفاء آخرون 2.
- الأم كعامل حصر 3.
- الأب كعامل حصر 5.
- الإخوة كعامل حصر 2.

عوامل أخرى للحصر: 11 ضعف درجات التحالف ما بين أفراد الأسرة وكذا درجات تقديرها كمصادر حصر، مع ارتفاع مصادر الحصر الخارجية 11 تدل على إشكالية الحالة في التواصل الآن مع المحيط الخارجي، غياب الأب في صورة التواصل الأسري، غياب الأم وتحرر الحالة من نظام الأسرة.

ج - خصوصيات النمط الانفعالي لهذه العائلة: سيطرة النمطان، غضب/ عدوانية وخوف حصر 9 علامات وأنماط أخرى بـ 12.

- تطرح هنا افتراض وجود السلوكات العدوانية ومدى تغيرات المزاج الحالة.

٧- الافتراضات الممكنة :

أ- وجود نسق تحتي أبوي فعال وموظف:

غير ملائم/ متقبل 11، مقابل ملائم متقبل 4 وهو الأضعف وملائم غير متقبل 7 وأخيرا صراع زوجي 2 مقابل علامة زوج مصدر حصر 2، حلين 2، من خلال النتائج يبدو أن النسق التحتي الأبوي متوازن نسبيا تميزه محاولة في التحكم نسبيا مع عدم تقبل أو رفض من قبل الأبناء أو الحالة على وجه الخصوص كما قد يدل على أن التقدير يخص نسق تحتي سابق يعد موجود.

ب- العوامل المحددة للحدود:

- كيف هو تفاعل أفراد الأسرة فيما بينهم:

أ- علامة تلاحم 9 موزعة على أنساق تحتية دون سيطرة نسق معين.

ب- لا انسجام أو انسحاب 8.

ج- عدد التحالفات 3.

- كيفية دخول العائلة في علاقة مع المحيط الخارجي:

أ- وجود تعادل بين نمط مفتوح ومغلق 9/9.

حليف آخر 2 ومصدر آخر للحصر 11 مما يدل على المصادر الخارجية للحصر أكبر.

ب- تحالف آخر مع راشدين «0» مؤشر على وجود صعوبات تواصل للحالة في هذا السن.

نمط آخر للصراع 5.

VI- مؤشرات أخرى كبرى لانعدام التكيف:

أ- سوء المعاملة 6.

ب- استجابات غير مألوفة 3.

ج- غياب الهذيانات واختلال العلاقة مع الواقع «الذهان».

VII- وجود مواضيع تسمح بوضع افتراضات عيادية.

- الحالة تعاني اضطراب في السلوك.

ملخص تحليل البروتوكول:

إنّ القراءة المتأنية لنتائج الاختبار تسمح لنا بالقيام بالقراءات التالية:

- إن النمط الأسري يعاني اختلالاً نسقياً واضحاً على مستوى التواصل، رغم أن هناك مؤشر إيجابي تمثل في قدرة الزوجين للحفاظ على التوازن والضبط في البداية.
- الصراع واضح بدرجات مرتفعة أما داخل الأسرة بـ 10 بين الزوجين (2) ومع الأفراد 5 مقابل 7 لانعدامه وكذا الفشل في حله 12.
- على مستوى الحالة يبدو أن الاختلال أيضاً متمثلاً في رفض وعدم الانخراط في الحلول المقترحة 18 وكذا تقدير بعدم الملائمة 11 مع إشكالية اعتبار المحيط كمصدر حصر 11 مقابل ضعف التحالفات داخل النسق وخارجه.
- الحالة تبدي عدم اعتبار وتقدير للأسرة، وكذا صعوبات في التواصل مع المحيط الخارجي أو في القدرة على بناء علاقات مع الراشدين.
- هذه النقطة تسمح باستنتاج أن الصعوبات والصراعات الأسرية كانت سبباً بارزاً في صعوبات التواصل الموجودة لدى الحالة «عدوانية، غضب، حصر، وربما خوف 9».
- وبهذا يمكن أن تبدي سلوكات الحالة تعبيراً عن رفض نظام تواصلي داخل النسق الأولي الذي نشأ ضمنه.

تحليل المقابلة الأسرية :

من خلال المقابلة الأسرية الباحث هنا يبحث عن طريقة لخلق جو تواصلي مع الحالة والأم غير أن الحالة تبدي سلوك جاف من خلال الإجابة بجمل بسيطة وسطحية تدل على الخوف من الاتصال أو رفض للتواصل (Minuchin, 1999, p.143) كما تبرز صلابته في النظام الأسري وتفاعلاته هذا ما قد يبرز أن النسق الذي يعيشه يمثل تواصل مرضي كما تظهر المقابلة غياب علاقة تفاعلية حقيقية وهذا ما يدل على تفككات داخل النسق العائلي (Scelle, 1997, p.52)، كما أن نمط التواصل عند هذه الأسرة يتميز بالقلق والتناقضات.

السلوك العنيف يعبر عن رسائل تواصلية لسياق داخل الحقل الأسري هذا ما تبرزه العلاقة الزوجية المشحونة. فقد شكل هذا النسق اختلالات على كل المستويات

الأفقي منه علاقة الإخوة مضطربة وعلى المستوى العمودي أين يبرز إلا سلوك العنف والتفاعل السلبي مثلته القسوة والضرب وكل أشكال العنف اللفظي. إذا الحالة تعيش أساليب قمعية وتفاعلات جافة دفع بها للنفور خارج هذا النسق ومحاولة لإيجاد بدائل علائقية مثلتها بناء علاقة بين الأدوية الروحية كتسمية لوضعية وتباعيه لمادة أخرى بعيدا عن الأسرة (Valleur, Matysiak, 2002, p. 193).

العنف عند (زيد) هو رسالة ردّ للأسرة أولا وللمجتمع ككل فهو بمثابة استجابة لرفض واقع من جهة وتعتبر اللغة التي احتضنته في طفولته من جهة ثانية (سوء المعاملة التي تعرض لها وأساليب التعنيف) كانت بمثابة رسائل مشفرة وهروب مؤقت من الواقع مشبع بالصراعات.

عائلة (زيد) اتسمت بغياب السلطة الأبوية الحقيقية تمثلت في سلطة قمعية منحرفة إدمان على الكحول في غياب المحافظة على القيم والمعايير التي تساهم في تنمية الفرد، مما انعكس في حالة الفشل المدرسي والتسرب المبكر لـ (زيد) وهذا لرفضه لأي سلطة تواجهه كما يعتبر البتر الذاتي كحالة تنفيس من قلق ورسالة أخرى تبدو مشفرة (Watzlawick, Beavin, 1972, p.52) غياب أي تحالف في نطاق هذا النسق، يبرز كخلل آخر على مستوى العلاقة والتفاعلات.

يمكن القول أن السلوك العنيف بالنسبة لـ (زيد) مؤشر لاختلال الوظيفة الأسرية ويبرز كإشكالية مرضية على المستوى التواصلية الذي تميز بلغة العنف والإهمال والحرمان.

إن السلوكات المضطربة للحالة تبدو جينية من تاريخ الأسرة ككل انطلاقا من الجد إلى الأب وتمثل سوء المعاملة رسالة أولى كمثير والسلوكات المضطربة كاستجابة حسب نمط تواصل دائري العنف الذي يبيده (زيد) ما هو إلا تغذية رجعية لرسائل مرضية من النسق الأسري هذا الأخير الذي ميّزته صلابة وبرودة عاطفية وتفاعلات سلبية وتناقضات وغياب التحالفات .

إذا يمكن القول أن سلوكيات (زيد) كانت في جيل سابق هي سلوكيات الأب بالنسبة للنسق الأولي حملت رسائل أخرى مشبعة بالصراعات والانفعالات (M.Mannoni, 1964, p.79).

اختلال الوظيفة الأسرية وسوء المعاملة جعل الانحراف والعنف كسند عند (زيد) بعيدا عن السند الحقيقي وهو الأم (العاطفة) والأب (مصدر الأمن).

خلاصة:

يعد النسق الأسري أهم الأنساق التي تساهم في بناء شخصية سوية من خلال تحالفاتها وتفاعلاتها الإيجابية غير أنه في حالة خلل في هذا النسق الذي قد تمثله بعض الأساليب التربوية القمعية: الإهمال النبذ، الحرمان العاطفي، التعنيف النفسي والجسدي، قد تدفع بالفرد إلى اختيار نسق بديل يرى فيه التحرر والبحث عن تحالفات أخرى، بهذا يكون الانحراف بمثابة رسالة نابعة عن تواصل مرضي .

قائمة المراجع

بالعربية:

1. حسن مصطفى عبد المعطي، (2010)، علم النفس الإكلينيكي العيادي، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.
2. سامي محمد ملحم، (2000)، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، دار الميسرة، الأردن.
3. سي موسي زقار (2002)، الصدمة النفسية عند الطفل والمراهق، جمعية علم النفس، الجزائر.
4. عبد الباقي زيدان، (1983)، الأسرة والطفولة، مكتبة النهضة المصرية، مصر.
5. عطوف محمود ياسين، (1986)، علم النفس العيادي، دار الملايين، المؤسسة الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط2، بيروت، لبنان.

6. فيصل عباس، (1996)، الاختبارات النفسية تقنياتها وإجراءاتها، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، لبنان.

ب- بالأجنبية:

1. Anne- Marie Fontaine et Jean- Pierre Portois, (1998), Regards sur l'éducation familiale, Bruxelles, De Boeck Université.
2. Edmond Marc et Dominique Picard, (1984), Que sais-je : L'école de Palo Alto, Paris, Presses Universitaires de France.
3. Ionescu Serban et Alain Blanchet, (2008), Psychologie clinique, Psychopathologie et Psychothérapie, Paris, Presses Universitaires de France.
4. Maud Mannoni, (1964), L'enfant arriéré et sa mère : étude psychanalytique, Paris, Editions du Seuil.
5. R. Scelle, (1997), Fratrie et handicap, Paris, l'Harmattan.
6. S. Minuchin, (1999), Famille en thérapie, Paris, édition ERES, 2ème édition.
7. Paul Watzlawick, Janet Helmick Beavin, Don D. Jackson, (1972), Une logique de la communication, Paris, Presses universitaires de France.
8. Sandra Michel, (1986), La communication interpersonnelle, dans Nicole Aubert, Jean-Pierre Gruère, Jack Jabes, Hervé Laroche et Sandra Michel, Management : aspects humains et organisationnels, Paris, Presses Universitaires de France.
9. Valleur, M. et Matysiak, JC, (2002), L'addiction, Paris, Armand Colin.
10. Wayne, M. et al, (1980), Manuel de test Family, aperception test, traduit par les éditions de centre de psychologie appliquée, France.